مقياس: مدخل إلى علم الآثار 1

المحاضرة السادسة: تخصصات علم الآثار
(علم الآثار الكلاسيكي)

يقصد به دراسة علم الآثار الإغريقي والروماني وقد قسم إلى علمين منفصلين بسبب كثرة حقول الحفريات وأهمية وتنوع الآثار المكتشفة والفروق الكبيرة الموجودة بين الحضارتين، ويعتبر كورياك دي بيزيكولي مؤسس هذا العلم قام بجولة هامة ببلاد اليونان ما بين 1412–1447م جمع ودرس خلالها الكثير من النقوش والأعمال الفنية، وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر إنطلقت حملة كبيرة للبحث عن الآثار الإغريقية لبيعها لهواة الآثار مما أدى إلى إتلاف الكثير منها كما نقل بعضها إلى شمال أوروبا وغربها بحجة أن السكان المحليين ليسوا جديرين بإمتلاك هذه التحف ولا يمكنهم المحافظة عنها، كما قاموا بوضع نسخ جصية لتماثيل إغريقية ورأوا أن بقاء هذه التماثيل في الأكروبول بأثينا وغيرها معرضة بصورة دائمة لمخاطر الهدم والإهمال الشيء الذي أدى إلى تفكيك ونقل بعض واجهات البارثنون إلى بريطانيا عام 1803م لتباع للحكومة عام 1816م وتعرض في المتحف البريطاني.

علم الآثار الإغريقي:

تم التعرف على آثار العصر الإغريقي بما نقل من نسخ من العصر الروماني، وقد اكتشف مؤرخي الفن آثار القرن الخامس قبل الميلاد الأصلية الإغريقية في فيغالي خاصة في البارثنون، كما اكتشف إدوارد دأنيال كلارك أستاذ بجامعة كمبردج البريطانية قبر بإسم يوكليد بأثينا فظن أنه قبر عالم الرياضيات اقليدس، وأيضا تمثال حاملة السلة المقدسة في الوسيس أحدى المدن الإغريقية؛ وهما موجودين حاليا بمتحف فتزوليام ومتحف كمبرج البريطانية، يسجل أيضا الدور الذي قام به المحامي جون ديزني المعروف في مقاطعة اسكس الذي وجد الكثير من التحف أهداها إلى جامعة كمبرج .

كان للفرنسيين نفس دور البريطانيين في جمع التحف الأثرية، وظهر نشاط السيد فوفيل القنصل الفرنسي في أثينا الذي إقتنى اللوحة الرائعة من إفريز البارثنون لمتحف اللوفر بباريس، وفي عام 1811م قامت مجموعة من الباحثين البريطانيين والدنماركيين بإجراء تنقيبات فيما يفترض أنه معبد زيوس في إيجينا، ومعبد أبولو في باساي وتمت صيانة تماثيل تلك الحفريات التي إشتراها كل من ملك بافاريا والمتحف البريطاني، وفي عام 1821م قام الفيكونت دوماريل سكرتير البعثة الفرنسية في أثينا بشراء تمثال فينوس دي ميلو الشهير يوجد الآن بمتحف اللوفر، لتقوم بعثة آثار فرنسية بتنقيبات في البولوبونيز عام 1829م نشرت نتائج أعمالها في كتاب بعنوان "البعثة العلمية إلى موري " (Expidition Scientifique de Morèe)، وبإستقلال بلاد الإغريق من الحكم التركي عام 1829م بدأ

الإهتمام بماضيها بمساعدة أثريين أجانب فأنشئت ما بين 1844– 1846م المدرسة الفرنسية للآثار التي كانت أول مدرسة أجنبية من هذا النوع في بلاد الإغريق لتنشأ فيما بعد مدارس المأنية وبريطانية وأمريكية وإيطالية، كما تم إكتشاف ضريح هاليكارنا سوس (قبر موسولوس) من قبل البريطاني شارلس توماس نيوتن؛ وتجمع كل القطع الخاصة به حتى التي أخذت إلى جنيف والقسطنطينية ورودس، كما أكتشفت خريطة مدينة كنيدوس الإغريقية عامي 1858–1859م وهي المرة الأولى التي تكتشف فيها بدقة خريطة لمدينة قديمة.

في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي أكتشفت تماثيل الأكروبول التي شوهها الفرس عام 480م، وكنوز سيفنوس وأثينا وعرف العالم أن هناك فن قوي ما قبل الكلاسيكي، ليبدأ في كشف النقاب عن آثار حضارة مجهولة من خلال أعمال شليمأن في طروادة، وفي أرغوليد وأعمال إيفأنس في كريت تمثلت في حضارة ما قبل التاريخ والتاريخ، وبتوسع الحفريات وإكتشاف الواح كنسيوس في ما قبل العهد الهيليني في كريت والجزر اليونانية والإعتماد على دراسة الفخار والطبقات الأرضية علميا تم تقسييم الحضارة الإغريقية إلى:

..العصر المينوني (شعوب جزيرة كريت).

..العصر الهيليني (نسبة إلى هلاد الإسم البدائي لليونأن).

..العصر السيكلادي (نسبة إلى جزر في الأرخبيل اليوناني).

علم الآثار الروماني:

نشأ في إطار البحث عن أصول الحضارة الأوروبية؛ يهتم بعديد الحضارات التي نشأت في شبه جزيرة إيطاليا والتي إمتدت إليها السيطرة الرومانية لذلك نجد:

..علم آثار عصور ماقبل التاريخ والعصر الوسيط الإيطالي حيث الغزوات الشمالية الإيلليرية (منطقة جبلية بلقأنية بمحاذاة الإدريأتيك).

..علم الآثار الأتروسكي نسبة إلى أتروريا الإسم القديم لغرب إيطاليا من خلال حفريات فاي وكير وفولسي.

..علم آثار فنيقي روماني في صقلية وسردينيا اللتأن كانتا مستعمرات فينيقية.

..علم آثار إغريقي روماني في صقلية وجنوب إيطاليا المستعمرة من قبل الإغريق.

..علم آثار روماني في الأماكن التي حلت بها الجيوش الرومانية وتركت بها آثارها من عمارة وزخرفة ونقود،...مثل ماهو الحال في صبراتة بليبيا، تيمقاد وجميلة بالجزائر، قرطاج بتونس،...

..علم الآثار البيزنطية قلاع وحصون إلى غير ذلك...

..كانت بدايته مع التنقيب في هيراكليوم وبومبي خلال القرن الثامن عشر ميلادي، حيث أكتشفت بعض البيوت وقطعت لوحات منها وتركت المنازل المنهوبة لتنهار، ولم تكتمل الحفريات في أي من المنازل إلا نادرا، وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في عهد ملوك نابولي نظمت حفريات في بومبي أشرف على إدارتها ميشال أرديتي من علماء نابولي؛ وهي أول حفرية كبيرة يخطط لها في التاريخ برأسمال كبير ويد عاملة تفوق ستمئة عامل، وفي عام 1860م تحول الإشراف على حفرية بومبي الى جيوسبي فيورلي الذي إكتشف أنسولة

كاملة، من خلال حفره الطبقات واحدة أثر الأخرى بإعتماده على ما يعرف بالتحليل الأستراتوغرافي محتفظا بالظواهر المهمة في أماكنها وأنشأ ما سماه مدرسة بومبي للتنقيب، حيث يتمكن الآثاريون من تعلم هذه الطرق الحديثة في العمل الأثري، وقام بإجراء دراسة خاصة للمواد الخام وتقنية البناء وطور الوسائل التي تصنع بها النماذج الجصية للأجسام بصب الجص في الفراغات التي تكونت في الرماد البركاني بعد تحلل الأجسام، وذهب أبعد من ذلك في عمل نماذج الأبواب والأثاث وحتى السقوف.

إضافة إلى هذا كانت هناك تنقيبات أخرى حول الحضارة الأتروسكية، وفي عام 1827م أكتشفت لوحات كورنيتو الجدارية، وفي عام 1834م أكتشفت مقابر ثمينة، وفي عام 1848م صدر كتاب لجورج دونيس بعنوان "مدن ومدافن أتروريا"، كما أكتشفت آثار الإسكاثيين (شعوب توجد جنوب شرق أوروبا)، والسلتيين وهي فترة العصر الحديدي في حقبة ما قبل الرومان في أوروبا بوجه عام.

علم الآثار الأمريكي:

منذ إكتشاف أمريكا عام 1492م على يد كريستوف كلومبوس بدأ البحث النظري عن أصول الهنود الأمريكين، أما إستغلال المصادر الأثرية فلم يكن إلا في منتصف القرن التاسع عشر بعد ملاحظة وجود تلال أثرية بوسط أمريكا الشمالية وجنوب غربها ليبدأ البحث عن بناة هذه التلال، وفي الفترة مابين 1787–1788م قامت شركة أوهايو لمؤسسها اللواء روفس بتنام بشق بعض الطرق على مقربة من مدينة ماريتا فصادفت العديد من التلال غير الطبيعية فقام بتنام بإجراء مسح دقيق للمنطقة وتجنبت الشركة هذه التلال وعدتها مخلفات تاريخية وعد المسح الذي قام به بتنام بمثابة أصل علم الآثار بأمريكا، تمكن القس مناسيح كتلر وكيل بتنام بماريتا بعد الدوائر المكونة لجذع الأشجار التي كانت فوق التلال قدرت في أحداها بـــ: 463 دائرة بما يفيد أن هذه التلال بنيت قبل عام 1300م .

في عام 1784م قام توماس جفرسون بحفريات لإكتشاف حقيقة تلك التلال خاصة وأن البعض منها موجود على أراضيه فشق فندقا في أحد التلال فعثر عن كمية كبيرة من العظام البشرية مغطاة بطبقة من التراب تفصل بينها وبين عظام أخرى، وهكذا حتى إرتفاع 12 قدما، ومما لاحظه ستة حالات غريبة هي:

كمية العظام، طريقة وضعها، وجود العظام في طبقات مختلفة، تباين الطبقات، الفارق الزمني في الدفن، وجود عظام أطفال بينها.

عدت أعمال جفرسون بمثابة أول حفرية علمية في تاريخ علم الآثار الأمريكي وفريدة ليس في زمأنها فقط بل لفترة طويلة بعد ذلك، وفي عام 1799م خلال فترة رئاسته للجمعية الفلسفية الأمريكية بفيلادلفيا أرسل جفرسون منشورا للأعضاء المراسلين يطلب منهم الحصول عن خرائط دقيقة ورسومات وأوصاف لكل ما هو مثير للإهتمام، وبصفة خاصة الحصون القديمة والتلال الأثرية إلى جانب الأعمال الفنية الأخرى الخاصة بالهنود، ويمكن لهم حفر خنادق في مختلف الإتجهات للتحقق من محتوياتها والإستفادة من عدد الحلقات المكونة لجذع أضخم شجرة موجودة فوق هذه التلال لتقدير عمرها، بفضل هذه الأعمال لقب جفرسون بـــ "أب علم الآثار الأمريكي" لأنه نقب بطريقة جيدة بإعتماده على تعاقب الطبقات ولم يكن هدفه الثروة.

وفي عام 1812م أنشئت "الجمعية الأمريكية للآثار"؛ وكانت الأولى من نوعها في العالم الجديد من نشاطاتها جمع مواد للمتحف، أنشاء مكتبة، تشجيع الأبحاث، ونشر المجلد الأول للجمعية بعنوان مداولات (tronsaction) تضمن بحثا لكالب أتوتر وصف فيه آثار ولاية أوهايو وبعض المناطق الغربية، وأبحاث أخرى أثبتت في مجملها أن تلك التلال بناها الهنود الأمريكيون، وفي عام 1846م أنشأ جيمس اسمثون البريطاني المعهد الإسمثوني الذي يعد أحد أكبر مراكز البحث في العالم.

علم الآثار الإفريقي:

مجال بحث واسع، يمكن القول أنه مازال بكرا لأن معطيات البحث الأثري تمثل مصدرا رئيسيا للمعلومات عن ماضي القارة خاصة في عصور ما قبل التاريخ وحتى في المراحل التاريخية، وما تجدر الإشارة إليه أن علم الآثار الإفريقي وثيق الصلة بما هو خارج حدود القارة الإفريقية، حيث يجد علماء الآثار سواء في الفترة التاريخية أو ما قبل التاريخ الكثير الذي يجب أخذه من السجل الأثري الإفريقي.

علم الآثار الإسلامي:

هو العلم الذي يدرس المخلفات المادية للشعوب الإسلامية من عمائر دينية ومدنية وتجارية وعسكرية ومنشآت مائية، وفنون تطبيقية وغيرها، وهي موجودة بمنطقة جد واسعة تمتد جغرافيا من حدود الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن وسط أوروبا شمالا إلى وسط إفريقيا جنوبا، وبهذه المساحة فهي تشمل شعوبا وثقافات متعددة، وبالتالي فهي آثار متنوعة ومتجددة ومستمرة بإستمرارية الشعوب التي أنتجتها؛ ويمكن تقسيمها بأكثر من طريقة منها:

..بحسب العصور التي مرت على المسلمين: فنجد الآثار الأموية، والآثار العباسية، والآثار الفاطمية، وآثار المماليك، وآثار المرابطين، وآثار الموحدين،...الخ.

..بحسب الأقطار التي ظهرت فيها: وتظهر الآثار الإسلامية في المملكة السعودية، الآثار الإسلامية في الشام، الآثار الإسلامية في مصر، الآثار الإسلامية في المغرب العربي،...الخ.

علم الآثار الغارقة:

من التخصصات الجديدة في علم الآثار يهتم بدراسة الآثار الغارقة في البحار والمحيطات التي تحت الماء بصفه عامة والتي لم يتم الوقوف على تاريخ محدد لتكوينها مع العلم أن الإرتفاع في مستوى سطح البحر بسبب ذوبان الجليد والتبخر التدريجي أو إرتشاح مياه الأحواض الداخلية نحو البحر ، والحركات الباطنية كالزلازل والبراكين كانت من الأسباب الرئيسية لتشكل الآثار الغارقة.

تتمثل الآثار الغارقة في المدن الغارقة والجزر ومناطق الشواطيء المهجورة وآبار القربان وهي آثار ثابة، وحطام السفن التجارية منها والحربية وهي آثار منقولة، و تعتبر سواحل البحر الأبيض المتوسط من أغنى السواحل بالآثار

أ.د / مصطفى خضر سكره

الغرقة الثابتة بسبب ما تعرض له من طغيان البحر و انحساره فكانت النتيجة إختفاء مدن بأكملها تحت مياهه مثل مدن سواحل يوغسلافيا، ومدينة سراكيوس في جزيرة صقلية، وأطلانطس الخرافية....

إضافة إلى ذلك توجد آبار القربان بسبب الإعتقادات التي كانت سائدة كرمي الأشياء في بئر لضمان الحظ السعيد وأشهر مثال عن ذلك شعب المايا في وسط أمريكا الذي كان يرمي المصوغات والقرابين والهدايا للآله ة، كذلك القربان في تشيتشان أتزا في المكسيك ، أما الآثار المنقولة فحوض البحر الأبيض المتوسط يكتنز من بقايا السفن المحطمة التجارية منها والحربية لأنه في قلب العالم القديم وعلى ضفافه توجد أعرق الحضارات، وللصدفة دور كبير في علم الآثار وهو الحال بالنسب ة للآثار الغارقة حيث كانت بداية الإهتمام بها عام 1900م عندما هبت عاصفة هوجاء إضطرت سفينتان يونانيتان كانتا في طريق عودتهم ا من الساحل التونسي بعد رحلة صيد الإسفنج فغادرتا جزيرة أنتيكثيرا (Antikythéra) عند نهاية الأرخبيل اليوناني ور ستا عند مرفأ هادئ على بعد خمسا وسبعين قدما من السا حل، وبسبب طول فترة العاصفة خطرت لكابتن السفينتين فكرة إستغلال هذا الوقت في الصيد ليبدأ غواصوه في النزول إلى البحر وتكون المفاج أة حيث وجدوا تماثيل للرجال ونساء وج ياد...، أخذ غواص ذراع تمثال من البرونز وصعد إلى السطح ليروي ما وجد ويقدم الدليل مما أضطر القبطان إلى الغوص وتحديد المكان بدقة حتى يتمكن من العودة، بوصوله إلى أثينا نظم رحلة في نوفمبر عام 1900م إستمر عملها تسعة أشهر في ظروف جد صعبة وبوسائل بسيطة إلا أنهم تمكنوا من إستخراج رأسا برونزية وتمثالين من المرمر وبعض القطع الصغيرة، ورغم أن ما قامت به هذه البعثة لم يكن وفق منهج علمي إلا أنه يمكن إعتباره الخطوة الأولى في نشأة علم الآثار الغارقة الذي شهد تطورا كبيرا سواء من حيث المجال أو الوسائل والإمكانيات ، وجاءت الخطوة الثانية في المهدية التونسية عام 1907م حيث كان العمل فيها خلال الفترة ما بين 1907 ــ 1913م، وفي فترة مابين الحربين العالميتين وبعد الحرب العالمي ة الثانية حدث تطور ا كبير ا في علم الآثار الغارقة مس خاصة الأساليب والوسائل المستعملة في ذلك ، كما كونت "جماعة أبحاث ما تحت البحر" من طرف إيف كوستو وفيليب تاييه وفريديريك توماس، وتم إ كتشاف منطقة كاب أرتميش اليونانية عام 1925م أين عثر أحد الصيادين على تمثال من البرونز ، لتتوسع حركة الإكتشافات مع بعثة جورج كارو التي تمكنت من إ كتشاف تمثال من البرونز لكبير آلهة الأولمب (زيوس) وتمثال لفارس صغير يمتطي جوادا.

ما تجد الإشارة إليه فيما يتعلق بهذا التخصص أنه يعرف تطورا هأما من حيث الأجهزة والوسائل المستخدمة وحتى من حيث القوانين التي تحمي هذا التراث هذا ما قامت به منظمة اليونسكو عام 2001م بعقد إتفاقية لحماية التراث الثقافي المغمور والإتفاق على أن للدول حق الملكية والحماية على أي أثر مغمور موجود في مياه ها الإقليمية.

الدكتوره و: شلوف خامسة محمد خيضر بسكرة